القصص

في ذكرى بدر :

أبو جهل ....

لم أكتب رواية ، ولكني عرضت مناظر من بدر .....

« علي »

للأستاذ علي الطنطاوي

(المنظر الأول)

« في بيت عاتكة بنت عبد المطلب »

عاتكة — يا أخي ! والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ، وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شرّ ومصيبة ، فاكتم عني ما أحدثك ، فانهم إن سمعوها آذونا ، وأسمعونا ما لا نحب

العباس — حدثيني ، فما أكتم الحديث

عاتكة — رأيت راكباً قد أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا لغُدُر إلى مصارعكم في ثلاث ! فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ فبينما هم حوله مثَل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها ؛ ثم مثل به على رأس أبي قبيس ، فصرخ بمثلها ؛ ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضّت ، فما بقيت دار من دور مكة إلا دخلها منها فلقة ....

العباس — إن هذه رؤيا حق ، فاكتمها ولا تذكريها لأحد

(المنظر الثاني)

« في الحرم ، وقد غابت الشمس ، وجلست قريش في مجالسها من حول الكعبة »

« أبو جهل في وسط من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة »

أبو جهل — يا أبا الفضل ! لمَ فرغت من طوافك فأقبل علينا ....

« يقبل العباس »

أبو جهل — يا بني عبد المطلب ! متى ظهرت فيكم هذه النبيّة ؟

العباس (متجاهلا) — وما ذاك ؟

أبو جهل — الرؤيا التي رأت عاتكة !

العباس — وما رأت ؟

أبو جهل — كأنك لا تدري ؟ . . . ألم تحدث بذلك الوليد بن عتبة ؟ أما رضيتم يا بني عبد المطلب بكذب الرجال ، حتى جئتمونا بكذب النساء ؟ زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ! فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فان يك حقاً فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب

العباس (وقد غضب) — هل أنت منته يا مصفّراً .....؟ فان الكذب فيك وفي أهل بيتك

« يهم به فيحول القرشيون بينهما »

القرشيون — ما كنت يا أبا الفضل جهولا ولا خرقاً

(المنظر الثالث)

« في بطن الوادي ، صباحا ... »

العباس (لرجل معه) — لقد لقيت أمس من عاتكة أذىً شديداً لما أفشيت من حديثها ، ولم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني تقول : أقررتم . . . أقررتم لهذا الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت .. ..

فو الله لأتعرضنّ له ، وإن عاد قاتلته ، فلقد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه

الرجل — انظر يا أبا الفضل ! هذا أبو جهل خارجاً من باب المسجد يشتدّ

العباس — ماله لعنه الله ، أكل هذا فرقاً مني ؟ لمذهب فانظر ما شأنه ؟

« يذهب الرجل ويرجع على عجل »

الرجل (مضطرباً) — ألا تسمع ؟

العباس — ماذا ؟

الرجل — هذا ضمضم بن عمرو الغفارى . يصرخ ببطن الوادى وقد شق قميصه ، وحوّل رحله ، وجدع بعيره ! اسمع

« يقدمان ويصيحان »

ضمضم — يامعشر قريش ! الطيمة ... الطيمة ... أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه ... لا أرى أن تدركوها ... الغوث ..! الغوث ..!

« حركة واضطراب ولغط وصيحات حماسية »

رجل — هذه والله رؤيا عاتكة !

آخر — والله إن أخذ محمد العير لا تفلح قريش أبداً

آخر — انفروا إلى مصارعكم فى ثلاث . إن رؤيا عاتكة كأنها أخذ باليد

أبو جهل — هه ! أيظنّ محمد أنها كعير ابن الحضرمى ؟.. والله ليعلمنّ غير ذلك ... إنها قريش !

سهيل بن عمر — يا آل غالب ! أتاركون أنتم محمداً والصُّباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم ؟ — من أراد مالا فهذا مالى ؛ ومن أراد قوتاً فهذا قوتى ...

« يفرق الناس ، يستعدون للخروج »

(المنظر الرابع)

« فى الحرم ، وقت الظهيرة »

أمية بن خلف وسعد بن معاذ سيد الأوس وهو ضيفه وخليله

أمية — تعال فطف بالبيت ، فانه وقت الظهيرة ولا يراك أحد

« يطوف سعد بالبيت ويجلس أمية »

أبو جهل (قادماً) — من هذا الذى يطوف بالبيت ؟

سعد — أنا . سعد بن معاذ !

أبو جهل — ماذا ؟ أتطوف بالبيت آمناً ، وقد آويتم محمداً وأصحابه ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتمنعونهم ؟ ! أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ماوجعت إلى أهلك سالماً

سعد — أما والله ائن منعتنى هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه : طريقك على المدينة

أمية (لسعد) — لا ترفع صوتك على أبى الحكم فانه سيد أهل الوادى

سعد (لأمية) — إليك عنى ، فانى سمعت محمداً يقول إنه قاتلك

أمية — إياى ؟ سعد — نعم !

أمية — بمكة ؟ سعد — لاأدرى !

أمية — والله ما كذب محمد

« يسقط أمية بأثر القوى »

إذن والله لا أخرج من مكة ، إذن والله لا أخرج من مكة

المنظر الخامس

« فى الحرم . مساء . قريش فى مجالسها ، عقبة بن أبى معيط قادم على مجلس أمية معه مجمرة فيها بخور . أبو جهل على أثره »

أمية — ويلك لمن هذا ؟

عقبة — لك يا أبا على . قم استجمر فانما أنت من النساء

أمية — قبحك الله وقبح ما جئت به

« يصل أبو جهل »

أبوجهل — يا أبا صفوان ، إنك متى يراك الناس قد تخلفت ، وأنت من أشراف قريش ، تخلفوا معك ، فسر يوماً أو يومين

أمية — افعل !

« يمشى عقبة وأبو جهل إلى مجلس عتبة وشيبة ابنى ربيعة وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام

أبو جهل — أنتم سادة قريش ، وأنتم قادة الناس ، فمالكم لا تتجهزون ؟

عتبة — لقد استقسمنا بالأزلام فخرج الناهى

عقبة — كلا . ولكنه الفزع من اللقاء

عتبة — ألمثلى يقال هذا ؟ والله لولا أنك فى بيت الله ....

أبو جهل — دعه يا أبا الوليد ، فانك اليوم شيخ قريش ، فاذا لم تخرج أقام الناس

عتبة — سأخرج

(المنظر السادس)

« يفصلون من مكة ، وهم ألف رجل فيهم شيوخ قريش وأشرافها . قد خرجوا على الصعب والذلول ، ومعهم القينات يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين ، وقد ارتج بهم الوادى »

(المنظر السابع)

« ماء فى البادية ، عليه خباء رجل ، وعليه جلوزتان تحتضان ، يقف عليه رجلان من المسلمين فيستقيان »

الجارية — لا أدعك حتى تقضينى الذى لى

الأخرى — دعينى ، فستأتى العير غداً أو الذى بعده ، فاعمل لهم ، فأقضيك

الرجل — لقد صدقت ، فستأتى العير غداً أو بعد غد

« يسمع الرجلان فيجلسان على بعيريهما ليلحقا بالمسلمين »

« أبو سفيان يأتى بعد قليل ، يتقدم العير وحده »

أبو سفيان — هل أحسست أحداً أيها الرجل ؟

الرجل — ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أن راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا فى شنّ لهما ، وانطلقا

أبو سفيان — أرنى مبرك ناقتيهما

الرجل — هو ذاك ...

« يأتى أبو سفيان المبرك ، فيأخذ من أبعارها فى يده »

أبو سفيان — هذا هو النوى ، هذه والله علائف يثرب

« ويمضى مسرعاً فيعرج بالعير »

(المنظر التاسع)

« فى جيش المسلمين ، فى ذفران ، وقد جاءهم الخبر بعير قريش ليعترضوا عيرهم »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن القوم قد خرجوا من مكة ، على كل صعب وذلول ، فما تقولون ؟ ألعير أحب إليكم من النفير ؟

رجل — عليك بالعير ودع العدو

آخر — هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له ! إنما خرجنا للعير

« يتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم »

المقداد بن الأسود — يا رسول الله ! امض لما أمرك الله ، فنحن معك ؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . والله الذى بعثك بالحق نبياً لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك حتى تبلغه

« يتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم »

المسلمون — كلنا ذاك الرجل يا رسول الله ، ولكنا ظننا أن فى العير قوّة للإسلام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علىّ

عمر — يا رسول الله ! إنها قريش وعزّها ، والله ما ذلّت منذ عزّت ، ولا آمنت منذ كفرت ؛ والله لتقاتلنّك ؛ فتأهب لذلك أهبته ، واعدد له عدّته

قال رسول الله (ص) : أشيروا علىّ أيها الناس

سعد[1] — لعلك تريدنا معاشر الأنصار يا رسول الله

قال رسول الله : أجل

سعد — قد آمنا بك وصدّقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، ولعلك يا رسول الله تخشى أن تكون الأنصار ترى عليك ألا ينصروك إلا فى ديارهم ، وإنى أقول عن الأنصار ، وأجيب عنهم ، فصِل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وسالم من شئت ، وعادِ من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت لنا ، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك . فامض يا رسول الله لما أردت ونحن معك ، والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا ، وإنا لصُبر فى الحرب ، صُدُق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله

قال صلى الله عليه وسلم :

— سيروا وابشروا ، فان الله وعدنى إحدى الطائفتين ، فو الله لكأنى أنظر الآن إلى مصارع القوم !

(المنظر التاسع)

« ماء فى البادية عليه شيخ من العرب يقدم عليه رسول الله وأبو بكر مستخفين فيسألانه عن قريش »

— ما ذا تعرف عن قريش ؟

الرجل — لا أخبركما حتى تخبرانى من أنتما !

قال رسول الله (ص) : إن أخبرتنا أخبرناك

الرجل — ذاك بذاك ؟

قال الرسول : نعم

الرجل — بلغنى أن محمداً وأصحابه ، خرجوا يوم (كذا) فان كان صدق الذى أخبرنى . فهم اليوم فى مكان (كذا)

أبو بكر (لنفسه) — لقد عرف مكاننا

الرجل (متما) — وبلغنى أن قريشاً خرجوا يوم (كذا) فان صدق الذى أخبرنى فهم اليوم فى مكان (كذا) . فمن أنتما ؟

قال النبى (ص) : نحن من ماء !

(١) ابن عبادة كما قيل . وابن معاذ على الأصح ؛ وإذن يكون قد لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كان بمكة لما علم بأمر خروجه

أبو بكر (لنفسه) — فلينظر الانسان م خلق ، خلق من ماء دافق

الرجل (متعجباً) — من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ أمن ماء الشام ؟

(المنظر العاشر)

« فى بدر على الماء الأدنى من المدينة »

الحُباب — يا رسول الله ! أرأيت هذا المنزل ، أهو منزل أنزلكه الله تعالى ، ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

قال : بل هو الرأى والحرب المكيدة ؟

الحباب — يارسول الله ! إن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فتنزله ، ثم نغوّر ما عداه من القُلُب ، ثم نبنى عليه حوضاً فنملؤه ، فنشرب ولا يشربون

قال النبى (ص) : لقد أشرت بالرأى

« يتقدم المسلمون »

(المنظر الحادى عشر)

« فى بدر على الماء الأدنى من القوم »

سعد : يا نبى الله ! ألا نبنى لك عريشاً من جريد تكون فيه ، ونعدّ عندك ركائبك ، ثم نلقى عدوّنا ، فان أعزّنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ، جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام يانبى الله مانحن بأشد لك حباً منهم ، لهم رغبة فى الجهاد ونية ؛ ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك إنما ظنوا أنها العير ، يمنعك الله بهم ويناصحونك ، ويجاهدون معك

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

— أو يقضى الله خيراً من ذلك ياسعد

(المنظر الثانى عشر)

« قريش فى الجحفة فى طريقهم إلى بدر »

رسول — يا معشر قريش ! قد أرسلنى اليكم أبو سفيان إنه قد نجا بالعير ، فارجعوا فأحرزوا عيركم

أبو جهل — سوءة لك ! والله لا نرجع حتى نحضر بدراً فنقيم عليه ثلاثة أيام ، ننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان ، فلا يزالون يهابوننا أبداً

الرسول — هذا بنى ، والبغى منقصة وشؤم

أبو جهل — صَهْ قطع الله لسانك

الأخنس — لقد صدق الرسول ، وأنا راجع بقومى

(لقومه) — يابنى زهرة ! قد نجى الله أموالكم وخلّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بى حميّتها ، وارجعوا فانه لا حاجة بكم الى أن تخرجوا فى غير منفعة

« ضجة وصياح ولغط ... ينفرد الأخنس بأبى جهل »

الأخنس — أترى محمداً يكذب ؟

أبوجهل — ما كذب قط ؛ كنا نسميه « الأمين » ، لكن اذا كانت فى بنى عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة ، فأى شىء يكون لنا ؟

الأخنس — أنت والله تحسده

« يرجع الأخنس وبنو زهرة »

عمير بن وهب (قادماً) — يا معشر قريش ! لقد ذهبت فى الوادى ، أحزر أصحاب محمد ، أنظر هل للقوم كمين أو مدد فأبعدت فلم أر شيئاً ، وأنهم لثلاثمائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، ولكنى رأيت البلايا تحمل المنايا : نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، ألا ترونهم خرساً لا يتكلمون ؛ يتلظون تلظى الأفاعى ، لا يريدون أن ينقلبوا إلى أهليهم ؛ زرق العيون كأنهم الحصى تحت الجحف ، ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ؛ والله ما نرى أن نقتل منهم رجلاً حتى يقتل رجل منكم ، فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ! فروا رأيكم

حكيم بن حزام (لعتبة) — يا أبا الوليد ! إنك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها ، فهل لك لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر ؟

عتبة — وما ذاك يا حكيم ؟

حكيم — ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمى

عتبة — هذا والله الرأى ، فادع لى الناس

« يدعو الناس »

عتبة (خطيباً) — يا معشر قريش ! انكم والله ماتصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ؛ والله لئن أصبتموه لا يزال رجل منكم ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه ، قتل ابن عمه وابن خاله ، ورجلا من عشيرته . ارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب ، فان أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن كان غير ذلك كفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون . أى يا قوم ! إعصبوها اليوم برأسى وقولوا : جبن عتبة ، وأنتم تعلمون أنى لست بأجبنكم .. ...

يا قوم أطيعوني فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرمي وما أخذ من العير وقد تحملت ذلك . يا معشر قريش ! أنشدكم الله في هذه الوجوه التي تضيء ضياء المصابيح أن تجعلوها أعلاما لهذه الوجوه التي كأنها عيون الحيات

« يسكت عتبة ويخبط القوم لغطاً شديداً »

رجل — نعم ما يقول أبو الوليد !

آخر — هو والله الرأي

آخر — عتبة سيد الناس فأطيعوه

عتبة (لحكيم) — انطلق الى ابن الحنظلية

« يذهب حكيم »

حكيم (لأبي جهل) — إن عتبة أرسلني اليك لترجع بالناس ، وهو يحمل دم حليفه ابن الحضرمي.

أبو جهل — أهو يقول هذا ؟ والله لو قاله غيره لأعضضته إنتفخ والله سحره ! كلا والله ، لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد

« يرسل أبو جهل الى عامر بن الحضرمي »

أبو جهل (لعامر) — هذا حليفك ، عتبة بن ربيعة يريد أن يرجع بالناس ، ويخذلهم عن القتال . وقد تحمل دية أخيك من ماله بزعم أنك قابلها ، ألا تستحي أن تقبل الدية من مال عتبة ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فاذكر مقتل أخيك

« عامر يتكشف ويحثو عليه التراب »

عامر (صائحاً) — وا عمراه ... وا عمراه !

« يهيج الناس ويحمسون »

حكيم (لعتبة) — لقد أثارها

عتبة — دعه فسيكون شؤماً وبلاء على قومه .

(المنظر الثالث عشر)

« اشتعلت الحرب وقتل المسلمون عتبة وشيبة والوليد ورجع سراقة وكان قد أجارهم من كنانة »

أبو جهل — يا معشر الناس ! لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ، ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة والوليد ، فانهم قد عجلوا ، واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه بالحبال . . .

يا معشر قريش ! لا تقتلوهم . خذوهم أخذ اليد

« يخرج رسول الله من العريش فيحض الناس على القتال »

— أما والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة

« عمير بن الحمام يأكل تمرات في يده »

عمير — بخ بخ ... ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ فان حييت حتى آكل تمراتي

« يلقي التمرات ويقدم »

عمير (هاجاً)

ركضاً الى الله بغير زاد
إلا التقى وعمـــل المعاد
والصبر في الله على الجهاد
وكل زاد عرضـة النفاد
غير التقى والبر والرشـاد

« تزداد الحرب اضطراما »

(المنظر الرابع عشر)

« قريش تنهزم ، ابن مسعود يفتش بين القتلى عن رجل »

عبد الله — هل أخزاك الله يا عدو الله ؟

« يضع رجله على عنق أبي جهل ويحز على آخر رمق »

(المنظر الخامس عشر)

أبو جهل — ويم أخزاني ؟ أعار على رجل قتلتموه ؟ أخبروني لمن كانت الدبرة لنا أو علينا ؟

عبد الله — بل لله ولرسوله !

« في الحرم وقد جلس أبو سفيان وأبو لهب في نفر من قريش ينتظرون الأخبار ... »

أبو لهب ... هذا ابن عبد عمرو ! ماوراءك يا ابن عبد عمرو ؟

ابن عبد عمر — فتيت قريش ! قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأمية بن خلف ... ... لقد ظهر الاسلام ! فسيظل غالباً الى يوم القيامة ... !.. وذلت الأصنام فلا تعز إلى يوم القيامة... ..!

علي الطنطاوي

ظهر حديثاً كتاب :

نقد كتاب حياة محمد

للأستاذ عبد الله القصيمي النجدي

فيه بيان الأغلاط العلمية والدينية الواقعة في كتاب هيكل : (حياة محمد)

(ويباع بمكاتب القاهرة وثمنه مضمون مليما